عن حوله واحوال غيره وما يفعله هو وفعله فقد قدمنا ان الخلف فيها
ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى
او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما
يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجايز
ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه
مغازيه لئلا ياخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط
امته وتطييب قلوب المومنين من صحابته وتاكيدا في محبتهم ومسرة في نفوسهم

ممازحته عليه السلام

كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة التي سالته عن زوجها اهو الذي
بعينيه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينيه
بياض وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما
ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه
ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه
وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة قلب
فان قلت فما معنى اذا قوله تعالى في قصة زيد اذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت
عليه امسك عليك زوجك فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن
جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله
تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك

قصة زينب بنت جحش

عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها
مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فايد
عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش
فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان
امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله تعالى
لم يبد من امره معها غير زواجه بها فدل انه الذي اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه
به تعالى وقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية فدل

انه

انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل له مثال فعل
من قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما
احل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما
اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما
نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا
يتسم به الاتقيا فكيف سيد الانبياء قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قايله
وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهي
بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النسا يحتجبن منه عليه السلام وهو
زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها
لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال
لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث
السمرقندي فان قيل فما الفايدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله
اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى
في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره
الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج في
ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا
للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجاة واستحسنها ومثل
هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاة معفو عنها ثم
قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادة التي في القصة
والتطويل والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو
قول ابن عطا وصححه واستحسنه القاضي القشيري وان خشيته عليه السلام من الناس كانت
من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد
نهيه عن نكاح حلايل الابنا كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم
فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله
لم تحرم ما احل الله لك الآية كذلك قوله له ههنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه

Copyright King Saud University